المحاضرة الثالثة
إعداد
مفرح

عدم تنافر الحروف

يعني أن تكون الحروف مألوفة الاستعمال بين القراء والكتاب والشعراء فكلما كان حسنها ومن خلوصها من التنافر فيما بينها لتكون الكلمة رشيقة عذبة تخف على اللسان جذابة رشيقة سمحة سلسة على اللسان ولا تثقل على السمع فلفظة أسد أخف من لفظة غضنفر، فتنافر الحروف يجعل الكلمة فصيحة لكون حروفها متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء مع وضوح معناها وكثرة تداولها بين المتكلمين ومواضعتها للقواعد الصرفية ومع ذلك الذوق السليم والإلمام بمتن اللغة وقواعد الصرف وبذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل.

واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبة دائماً أقرب مخارج الحروف إذ قربها لا يوجبه دائماً كما أن تباعدها لا يوجب خفتها فهاهي كلمة (بعض) حسنة، وحروفها لا تخرج من مخرج واحد وهي كلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعدة وهو الشفة، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وكثرة حروفها.

المخارج وايضاً ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها فتنافر الحروف هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:

١- شديد في الثقل نحو: (هعخع) لنبت ترعاه الإبل من قول الأعرابي: تركت ناقتي ترعى الهعخع.

٢- خفيف في الثقل: كالنفنقة لصوت الضفادع، والفقاخ للماء المغلي، نحو: (مستشزرات) بمعنى مرتفعات من قول امرئ القيس في وصف شعر ابنة عمه وقيل في وصف حصانه:

غدائره مستشزرات إلى العلا تظل العقاص في مثنى ومرسل

والعقاص جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر والمثنى والمرسل ضده الشعر المفتول والمرسل ضده.

وتنافر الحروف يجعل الكلمة يعرف معناها بعد كد وبحث نحو قول عيسى بن عمرو النحوي: مالكم دكاً دكاً عليّ كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني بمعنى ابتعدوا.

وتنافر الحروف يجعل الكلمة مخالفة للقياس كون الكلمة شاذة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب مثل (الأجلل) في قول أبي النجم: الحمد لله العلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأول فإن القياس (الأجل) بالإدغام ولا مسوغ لفكه.

ومن أمثال العرب في تنافر الحروف: اسمع جعجعة ولا أرى طحيناً فالجعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل وملخص القول: إن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس ومن الابتذال والضعف فإذا الصق باللغة عيب من هذه العيوب السابقة وجب نبذها وأطراحها. واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت عرف حسنه من قبحه.